المتحف والتنمية المستدامة
دراسة استكشافية لبيان دور المتاحف
في تحقيق أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠

أ.سمية سيد محمد(*)
المدرس المساعد بقسم المكتبات والوثائق والمعلومات
كلية الآداب- جامعة القاهرة
s.amer0509@gmail.com

المستخلص :

تهدف الدراسة إلى التعريف بدور المتاحف كشريك أساس في تحقيق أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠، وذلك ليس فقط فيما يتعلق بالجانب الثقافي – والذي تنهض به هذه المؤسسات كدور ومهمة طبيعية تتعلق بها- ، بل دورها في تحقيق هذه الأهداف على تنوع أبعادها وجوانبها الاقتصادية، والاجتماعية، والبيئية، والذي اتضح كنتيجة لما قصدت هذه الدراسة استكشافه بأن المتاحف تعد من أجدر المؤسسات الثقافية تنفيذا للغالبية العظمى من هذه الأهداف والغايات، وأن جل ما تنطوي عليه التنمية المستدامة من أهداف يقع في بؤرة اهتمام المتاحف، ويعد تحقيقها لهذه الأهداف أمرا طبيعيا ينفذ أثناء قيامها بالعديد من مهامها وأدوارها التي تضطلع بها.

الكلمات المفتاحية:

التنمية المستدامة – المتاحف والتنمية المستدامة – المؤسسات الثقافية والتنمية المستدامة.

التمهيد:

تعد التنمية المستدامة واحدة من أبرز القضايا المطروحة على الصعيد العالمي، وقد تشعبت مستويات الاهتمام بها في شتى مجالات الحياة المختلفة، وأصبحت محور الحديث للعديد من الدول والحكومات، بل حتى المنظمات والهيئات والمؤسسات على

(*) بحث ضمن متطلبات رسالة دكتوراه بعنوان "النظم الرقمية لإدارة محتوى المتاحف: دراسة تقييمية مقارنة مع تقديم رؤية لتطوير نظام عربي"، مسجلة في جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم المكتبات والوثائق والمعلومات. مراجعة أ.د أسامة السيد محمود، وأ.د. عماد بدرالدين أبوغازي.

اختلاف مشاربها وتخصصاتها، وعلى رأس هذه المؤسسات المؤسسات الثقافية وبالأخص مؤسسات التراث الثقافي والحضاري وأبرزها المتاحف، تلك المؤسسات التي تنهض بدور حيوي للمجتمعات الإنسانية، ليس فقط بحفظ التراث الحضاري والطبيعي والثقافي لهذه المجتمعات، بل تتنوع مهامها بين مهام اجتماعية، وثقافية، واقتصادية، وتعليمية، وتربوية، وبحثية، مما يجعلها جديرة بالنهوض بالعديد من أهداف وغايات التنمية المستدامة على اختلاف أبعادها، وهذا ما خصصت سطور هذه المقالة لبيانه، في دراسة استكشافية تستهدف توضيح دور المتاحف في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، والتي تعد بالنسبة للمتاحف أمرا ليس بالمعضل بفضل ما تنهض به من مهام وأدوار تجعل المتاحف مؤسسات مثلى لتحقيق هذه الأهداف على المستوى العالمي.

- المتاحف والتنمية المستدامة

اعتمد قادة العالم في قمة عالمية تاريخية للأمم المتحدة عام ٢٠١٥، خطة عالمية للتنمية المستدامة تُنفذ على مدى الخمس عشرة سنة المقبلة – أي بحلول عام ٢٠٣٠– وتضمنت هذه الخطة سبعة عشر هدفا لتحقيق هذه التنمية موزعة على ثلاث ركائز أساسية ذات بُعد اقتصادي، وبُعد اجتماعي، وبُعد بيئي، وقد بدأ رسميا تنفيذ هذه الأهداف في يناير٢٠١٦م(*)؛ وتُعرَّف اللجنة العالمية المعنية بالبيئة والتنمية بمنظمة الأمم المتحدة التنمية المستدامة على أنها "التنمية التي تلبي احتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها المستقبلية" (نقلا عن General Assembly of the United Nation,2017).

وقد يبرز تساؤل عن علاقة المتاحف ودورها في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، وهل تلعب دورا حيويا بالفعل في المساعدة على جعل هذه الأهداف واقعا ملموسا؟ وتأتي الإجابة من واقع خطة التنمية المستدامة نفسها التي أقرت أن "الثقافات والحضارات جميعها يمكن أن تساهم في تحقيق التنمية المستدامة؛ لأنها من عناصرها التمكينية الأساسية". (United Nations. General Assembly, 2015)

أيضا ما اعتد به إعلان باريس حول التراث كرائد للتنمية والصادر عام ٢٠١١، والذي نص على أن الثقافة تُعد الركيزة الرابعة للتنمية المستدامة إلى جانب الركائز الثلاث

(*) تستند أهداف التنمية المستدامة إلى الأهداف الإنمائية للألفية والمنبثقة عن القمة العالمية لألفية للأمم المتحدة عام ٢٠٠٠، والبالغ عددها ثمانية أهداف لإنهاء الفقر بجميع أشكاله، والقضاء على الجوع، وتحسين الحياة الصحية وغيرها.

الأخـــرى الاقتصـــادية، والاجتماعيـــة، والبيئيـــة. (International Council on Monuments and Sites) (ICOMOS),2011

والمتاحف بالطبع من أبرز المؤسسات الثقافية والتي تُعنى بالتراث الثقافي علـــى اختلاف فئاته، والمتاحف تهدف في المجمل إلى تنمية المجتمعات الإنسانية (عبد الـــرحمن عثمان فراج، ٢٠١٧، ص١٢)، ووفقا لتعريف الأيكوم للمتاحف فإنها مؤسسات تهدف إلى خدمة المجتمعات وتحقيق تنميتها، ووفقا أيضا لما أفصح عنه ورتس، دوجلاس (Worts, Douglas, 1998) من واقع عمله في مجال التنمية المستدامة بأنه لن تتحقق هذه التنميـــة إلا إذا كان أفراد المجتمعات يشعرون بكونهم جزءًا من هذه العملية، ولن يتسنى ذلـــك إلا بفهم هؤلاء الأفراد للماضي ودروسه، وإدراكهم للحاضر وماهيتـــه، وتخـــيلهم للمســـتقبل واحتمالاته، وهذا ما تقوم به المتاحف على أكمل وجه. (Worts,D.1998)

ويُستنتج مما سبق أن المتاحف تلعب دورا محوريا في عملية تحقيق هذه الأهداف جُلها بمختلف جوانبها الخاصة بها سواء كانت اقتصادية، أو اجتماعية، أو بيئية وهذا مـــا سيُعْرَض في النقاط التالية:

١. دور المتاحف والبُعد الاقتصادي للتنمية المستدامة:

تنهض المتاحف في الأصل بدور اقتصادي بارز يتمثل في كونها مصدرا للـــدخل القومي للدول والمجتمعات، سواء على مستوى الاقتصـــاد الســـياحي، أو علـــى مســـتوى الاقتصاد الثقافي كأحد فروع الاقتصاد القائم على المعرفة.

وبإمعان النظر لأهداف التنمية المستدامة وغاياتها المتعلقـــة بالبُعـــد الاقتصـــادي يتضح دور المتاحف في الآتي:

١/١ الهدف الثامن:

"تعزيز النمو الاقتصادي المطرد والشامل للجميع والمستدام، والعمالـــة الكاملـــة والمنتجة، وتوفير العمل اللائق للجميع".

يتضح دور المتاحف في تحقيق هذا الهدف في الغاية التاسعة التي تـــنص علـــى "وضع وتنفيذ سياسات تهدف إلى تعزيز السياحة المستدامة التي تـــوفر فـــرص العمـــل، وتعزز الثقافة والمنتجات المحلية بحلول عام ٢٠٣٠".

ولا شك أن المتاحف تعد أحد المقاصد الأساسية للسياحة الثقافية، والتي تُعد عاملًا أساسيًّا للتنمية المستدامة والحوار بين الثقافات، والتي سينجم عنها توظيف العديد من أفراد المجتمع في وظائف لائقة، فضلا عن زيادة نسبة من هم في طور التدريب والتعليم للوفاء باحتياجات هذه المهن، ويعضد ذلك ما ذكره عبد الرحمن عثمان فراج (٢٠١٧) بأن هناك

ما يزيد عن ٢٠٠٠ منشأة متحفية بإنجلترا توظف ما يزيد عن ٢٧٦٠٠ موظف من المجتمعات الإنجليزية، إلى جانب ٤٣٠٠ موظف عُيِّنُوا من قبل الحكومة في المتاحف المحلية. (عبد الرحمن عثمان فراج، ٢٠١٧، ص٤٥).

٢/١ الهدف الثاني عشر:

"ضمان وجود أنماط استهلاك وإنتاج مستدامة"، ويتجلى دور المتاحف في غايته الثامنة "ضمان أن تتوافر للناس في كل مكان المعلومات ذات الصلة والوعي بالتنمية المستدامة وأنماط العيش في وئام مع الطبيعة بحلول عام ٢٠٣٠".

وذلك لكون المتاحف تنهض بدور توعوي للمجتمعات بفضل ما تقدمه من برامج وأنشطة ثقافية عن طريق المنتديات النقاشية، والندوات، والمحاضرات المتعلقة بالقضايا المعاصرة والاتجاهات العالمية ذات الحيثية، وعلى رأسها التنمية المستدامة، وغيرها من الموضوعات الجديرة بالمناقشة سواء كانت بيئية أو اجتماعية أو غيرها. (أسامة عبد الوارث عبد المجيد،٢٠١٧، ص١٣).

٣/١ الهدف السابع عشر:

"**تعزيز وسائل التنفيذ وتنشيط الشراكة العالمية من أجل التنمية المستدامة**".

فمن بين وظائف المتحف الأساسية، التعاون مع المؤسسات والمراكز العلمية والثقافية الأخرى لتنظيم البرامج وتنفيذ المشروعات المشتركة (ماهر عيسى ولؤي سعيد، ٢٠١٧، ص٣٥) فيكون المتحف هنا أحد الأطراف المشاركة على المستوى العالمي لدعم تحقيق أهداف التنمية المستدامة، سواء فيما يتعلق بزيادة الوعي بها، أو تنفيذ ما يصدر من برامج محددة.

وعلى مستوى غايات هذا الهدف، والمتعلقة بالجانب التكنولوجي؛ هناك "تعزيز التعاون الإقليمي والدولي بين الشمال والجنوب، وفيما بين بلدان الجنوب، والتعاون الثلاثي فيما يتعلق بالعلوم والتكنولوجيا والابتكار والوصول إليها، وتعزيز تبادل المعارف وفق شروط متفق عليها".

حيث يتيسر تحقيق ذلك التعاون الدولي سواء على مستوى المتاحف بعضها بعضًا أو فيما بينها وبين المؤسسات الثقافية الأخرى ذات الاهتمام المشترك، لتكون متاحف الدول المتقدمة هي المرشد لمتاحف الدول النامية فيما يتعلق بتبادل المعارف وتيسير التكنولوجيا المُستثمرة في هذا المجال، وهذا ما تراه الباحثة ممكنا.

وهناك من الاتجاهات ترى بأنه لكي يتحقق البُعد الاقتصادي للتنمية المستدامة فيا

يتعلق بالمتاحف، فلا بد لها أن تتسم بكونها مؤسسة مستقلة اقتصاديا، لا تنتظر التمويل من جانب الدولة (Museums Association,2008)، وهذا بالفعل ما تنهض به بعض المتاحف، وذلك بفضل ما تقوم به من أنشطة من شأنها جعل المتاحف معتمدة على ذاتها اقتصاديا، وتحقق أرباحا مذهلة لا تجعلها تنتظر التمويل الحكومي، أو الإعلانات والتبرعات، من هذه الأنشطة ما تقدمه من عروض، وحفلات شعبية واستعراضية، ومعارض لبيع الكتب، ومتاجر للهدايا والأعمال الفنية، وأبرز نموذج على ذلك متحف المتروبوليتان للفن بنيويورك The Metropolitan Museum of Art[*] والذي جنى أكثر من ٢٥% من إجمالي دخله من بيع البطاقات وترويج السلع، فضلا عن امتلاكه لثمانية عشر منفذا للبيع بالولايات المتحدة الأمريكية، وأربعة وعشرين منفذا آخر على مستوى العالم. (خالد عزب، ٢٠١٦، ص٤٣).

٢. دور المتاحف والبُعد الاجتماعي للتنمية المستدامة:

تنهض المتاحف بدور اجتماعي بارز في المجتمعات التي تخدمها، ويتضح ذلك عن طريق التواصل المجتمعي الذي يُعد أحد مهامها الأساسية، ومقياسا لمدى نجاح المتحف ذاته (عبد الرحمن عثمان فراج، ٢٠١٧، ص١٧)، والذي يمكنها من التعرف على هذا المجتمع، واحتياجاته، ومشكلاته، ومن ثم يتيسر لها السبيل لتحقيق العديد من أهداف التنمية المستدامة المتعلقة بالبُعد الاجتماعي، وبالنظر إلى الأهداف الخاصة بهذا البُعد، يتضح دور المتاحف في الآتي وفقا لكل هدف وغاياته:

١/٢ الهدف الأول: "القضاء على الفقر بجميع أشكاله في كل مكان"

تتنوع غايات هذا الهدف وتدور جميعها حول القضاء على الفقر، واستحداث نظم اجتماعية وتدابير حماية ملائمة على الصعيد الوطني للجميع، وخصوصًا الفقراء والضعفاء، وضمان التمتع بالحصول على الموارد الاقتصادية والخدمات الأساسية، والمالية، والموارد الطبيعية.

ويتجلى دور المتاحف هنا في نموذج واقعي لأحد المتاحف المصرية الذي تصدى لهذه المشكلة كنموذج لمتحف ساهم في تحقيق أحد أهداف التنمية المستدامة على مستوى إحدى الدول – خصوصًا دول العالم النامي – إنه متحف النوبة بأسوان، والذي أراد أن

(*) https://www.metmuseum.org/

يشخص جذور وعلاج هذه المشكلة عن طريق توليه لمشروع تنموي بالتعاون مع جمعيات تنمية المجتمع لصالح أهالي النوبة؛ وذلك لدعم الوصول إلى الخدمات الأساسية (المياه، والتعليم، والصحة) وضمان التمثيل بالدوائر الانتخابية ومنظمات المجتمع المدني من أجل التعريف باحتياجات الأسر الضعيفة، فضلا عن توفير الرعاية الصحية للمرأة والطفل. (Ossama A. W. Abdel Meguid,2005).

أيضا ما قام به القسم التعليمي بالمتحف المصري بعقد ورشة عمل تعليمية بعنوان "الحُلي المصري القديم بطريقة معاصرة: للخريجين والمرأة المعيلة"، والتي تهدف لتعليم حرفة تراثية يمكن للمرأة المعيلة والفتيات التكسب من ورائها لزيادة الدخل، ولحل مشكلة البطالة وذلك بالتعاون مع متحف مركبات بولاق، وتضمنت الورشة جولات داخل المتحفين لمشاهدة وشرح طريقة صناعة هذا الحُلي، والتطبيق العملي في القسم التعليمي للمتحف المصري. (القسم التعليمي بالمتحف المصري، ٢٠١٧)، ومن شأن هذا المساهمة في تحقيق هذا الهدف على مستوى الفتيات والمرأة المعيلة بتوافر مصدر للدخل، وتخفيف حدة مشكلة الفقر، وتوضح الصورة التالية ورشة عمل صناعة الحُلي.

صورة رقم (١) ورشة عمل صناعة الحلي بالقسم التعليمي بالمتحف المصري

٢/٢ الهدف الثاني: "القضاء على الجوع، وتوفير الأمن الغذائي، والتغذية المحسَّنة، وتعزيز الزراعة المستدامة"

تتمحور غايات هذا الهدف حول القضاء على الجوع، ومعالجة الاحتياجات الغذائية للأطفال، والمراهقات، والنساء، وكبار السن بحلول عام ٢٠٣٠، أيضا مضاعفة الإنتاجية الزراعية، والمحافظة على التنوع الجيني للبذور، وزيادة الاستثمار في البحوث الزراعية، وخدمات الإرشاد الزراعي، من أجل تعزيز القدرة الإنتاجية الزراعية وخصوصًا في البلدان النامية.

ويرتبط هذا الهدف مع الهدف السابق فيما يتعلق بدور المتاحف وتوليها لبعض الأنشطة التي تُحد من الفقر ومن ثم الجوع، فضلا عن ذلك تلعب المتاحف دورا بارزا في تحقيق هذا الهدف وخصوصًا ما يتعلق بتعزيز الزراعة المستدامة، ويتولى هذا الدور المتاحف الزراعية والتي من بين أهدافها تعليم المجتمع وزيادة وعيه بطرق الزراعة وآلياتها، والعادات الصحيحة المُمارسة من قِبَل المزارعين لتحسين الإنتاج الزراعي سواء كان ذلك في العصور الماضية، أو في الوقت الحالي، فضلا عن ذلك تضم هذه المتاحف مقتنيات متنوعة تمكن المجتمع من التعرف على الطرق المتبعة في عملية الزراعة وكيف تطورت، إلى جانب ما تنهض به من عروض لبيان التحديات والمشكلات الحالية الخاصة بالتربة، وكيف يمكن حلها ومعالجتها لزيادة خصوبتها. (Mariel J. et al. ,1972).

٣/٢ الهدف الثالث: "ضمان تمتع الجميع بأنماط عيش صحية وبالرفاهية في جميع الأعمار".

وتتعين غايات هذا الهدف بخفض النسب العالمية للوفيات سواء للمواليد أو الأطفال، ووضع نهاية للأوبئة كالإيدز والملاريا والسُّل وغيرها، وضمان حصول الجميع على خدمات رعاية صحية بما في ذلك خدمات تنظيم الأسرة والمعلومات حولها، والتوعية الخاصة بها، فضلا عن تعزيز قدرات جميع البلدان وخصوصًا النامية في الحد من هذه المخاطر وإدارتها.

ويتجلى دور المتاحف في تحقيق هذا الهدف في وجود المتاحف الطبية التي من ضمن وظائفها وأهدافها ليس فقط تعريف المجتمع بتاريخ هذا العلم ومؤسساته، بل جعل الطب ثقافة لدى المجتمع وأفراده، والعمل على زيادة الوعي بمخاطر بعض الممارسات غير المنضبطة فيما يتعلق بصحة الجسد أو الصحة العقلية، وذلك عن طريق ما تنظمه من معارض تمثل محاكاة للعمليات البيولوجية داخل جسم الإنسان وتأثير هذه الممارسات

عليها ويشاهد الزوار نتائج هذه الممارسات، أو بتنظيم الندوات الثقافية التي تعمل على زيادة الوعي لدى المجتمع بمخاطر هذه الممارسات.

(Whiteley L. et al.,2017) (Research Centre for Museums and Galleries (RCMG), 2000)

٤/٢ الهدف الرابع: "ضمان التعليم الجيد المنصف والشامل للجميع وتعزيز فرص التعلم مدى الحياة للجميع".

الذي تسعى غاياته إلى ضمان تمتع الجميع بفرص التعليم بكافة مستوياته وفئاته سواء المهني أو العالي، والتدريب، والتعليم مدى الحياة، وبناء المرافق التعليمية، وزيادة عدد المنح الدراسية والترويج لثقافة السلام والمواطنة واللاعنف، وتقدير التنوع الثقافي، وتقدير قيمة الثقافة في التنمية المستدامة.

وقد اتضح جليا مما سبق الدور التعليمي والتربوي الذي تنهض به المتاحف منذ بداية نشأتها، مما جعلها مراكز تعليمية غير تقليدية، توفر فرص التعلم بطرق مبتكرة شيقة، فضلا عن نهوضها بدور تربوي عن طريق التربية المتحفية وقيمتها في تعزيز دور الثقافة في النهوض بالمجتمع.

٥/٢ الهدف الخامس: "تحقيق المساواة بين الجنسين وتمكين كل النساء والفتيات".

الذي خصصت غاياته للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد النساء والفتيات، وتمكين المرأة، وكفالة مشاركتها مشاركة فعالة وعلى قدم المساواة مع الرجل على جميع مستويات صنع القرار في جميع مجالات الحياة المختلفة.

وقد يتساءل البعض ما دور المتاحف في تحقيق مثل هذا الهدف وغاياته؟ وتتجلى الإجابة بأن المتاحف تُعد هي النافذة للتعرف على مكانة المرأة في الحضارات المختلفة، من خلال ما تقتنيه وتعرضه من مقتنيات توضح عدم التمييز بين الجنسين، والدور الذي تنهض به المرأة على مختلف العصور، مما يرسخ في أذهان الأجيال الحالية هذه المكانة، وأنه لا مجال للتميز بين الرجل والمرأة حتى في أقدم العصور، والشاهد على ذلك إحدى أروع وأشهر القطع الأثرية بالمتحف المصري تمثال رع حتب وزوجته نفرت والذي يوضح مكانة المرأة المساوية لمكانة الرجل في مصر القديمة، وغيره من القطع الأخرى التي تنتمي لهذه الحضارة كالقزم سنب مع أسرته، ومن كاو رع وزوجته والذي توضحه الصورة رقم (٢)، والتي تظهر النساء بحجم مساو للرجال (مركز توثيق التراث الحضاري والطبيعي، ٢٠٠٥) مما يجعل المتحف وسيلة فعالة في إلغاء فكرة التمييز من أذهان الزوار تماما.

صورة رقم (٢) تمثال من كاو رع وزوجته

ولا يقتصر دور المتاحف على عرض مثل هذه القطع فقط، بل إن هناك من المتاحف ما خصص للمرأة وإبراز دورها الحقيقي في كافة المجالات، ومن هذه المتاحف على المستوى العربي متحف المرأة بدبي(*) والذي يوثق لتاريخ المرأة وحاضرها بالإمارات العربية المتحدة، ولفكرها، وثقافتها، ولنمط حياتها وطقوسها، ويسعى المتحف ليكون مركزا ثقافيا توثيقيا يقدم خدمة تعرفية أصيلة كافية للدلالة على مكانة المرأة الإماراتية، ولإتاحة فرصة التواصل مع هذه المرأة لتبادل الخبرات معها، وإثراء أشكال العطاء الثقافي والإنساني للمرأة الإماراتية، كما أسس المتحف أيضا ما يعرف بمركز دراسات المرأة، والذي ينهض بالعديد من الأنشطة، والمحاضرات، والندوات التي تعنى بقضايا المرأة، فضلا عن كونه دارًا للنشر له العديد من المنشورات ذات الحيثية عن المرأة وقضاياها. (رفيعة عبيد غباش، غير محدد).

٦/٢ الهدف العاشر: "الحد من انعدام المساواة داخل البلدان وفيما بينها".

خاصة الغاية الثانية "تمكين وتعزيز الإدماج الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي للجميع بغض النظر عن السن، أو الجنس، أو الإعاقة، أو الانتماء العرقي، أو الأصل، أو الدين، أو الوضع الاقتصادي، أو غير ذلك بحلول عام ٢٠٣٠".

فالمتاحف تعزز من عملية الإدماج الاجتماعي، وتحد من انعدام المساواة وذلك من واقع تعريف الأيكوم لها بأنها تتاح للجمهور العام، فهي تفتح أبوابها لكافة أفراد

(*) http://www.womenmuseumuae.com/

المجتمعات للتمتع بخدماتها وأنشطتها دون النظر للجنس، أو الأصل، أو الدين، أو اللـــون، وهذا من شأنه العمل على تحقيق هذه الغاية وجزء من هذا الهدف.

٧/٢ الهدف الحادي عشر: "جعل المدن والمستوطنات البشرية شاملة للجميـــع وآمنـــة وقادرة على الصمود ومستدامة".

ولا أجدر من تحقيق الغاية الرابعة من هذا الهدف "تعزيز الجهود الراميـــة إلـــى حماية وصون التراث الثقافي والطبيعي العالمي" غير المتاحف؛ حيث يعـــد هـــذا الهـــدف جوهر عمل المتاحف وأسمى أهدافها؛ ذلك لما توفره من بيئة ملائمة للحفاظ على التـــراث وعرضه وإتاحته، فضلا عن القيام بعمليات الصيانة والترميم بأحـــدث وأفضـــل الطرقـــة والتقنيات، وأيضا ما تقوم به من عمليات رقمنة لهذا التراث من شأنها الحفاظ على المواد الأكثر عرضة للتلف.

ولا يقتصر دور المتاحف في تحقيق هذه الغاية على عملية الحفـــظ، والتـــرميم، والرقمنة فقط؛ بل تنهض المتاحف بالعديد من الأنشطة التي تساهم بشكل أساسي في عملية حفظ هذا التراث، ومن أبرز أمثلتها تجربة متحف النوبة التي استمرت لتسعة أشهر لتعليم الأجيال الحالية من الفتيات في سن العشرين مهارات الحرف اليدوية النوبية، وذلك بعد أن لاحظ المتحف حجم الخسارة الكبيرة لثروة التراث الثقافي النوبي الناجمة عن فقد ورحيـــل الأجيال الماهرة في هذه الحرف من الأجداد، فحمل المتحف على عاتقه عقد ورش العمـــل الهادفة إلى نقل هذه المعارف والحرف إلى الأجيال الحالية من الشباب في محاولة لإنقـــاذ هذا التراث من الزوال (Ossama A. W. Abdel Meguid,2005).

٣. دور المتاحف والبُعد البيئي للتنمية المستدامة:

قد يتصور الكثيرون أن للمتاحف أدوارا متعددة، ثقافيـــة، اجتماعيـــة، تعليميـــة، علمية، اقتصادية، إلا أنه قد يُصيبه الاستغراب إذا ما علم أن للمتاحف أدوارا تنهض بهـــا تجاه البيئة، ولكن يزول ذلك الاستغراب عندما يلاحظ الجهود التي تبذلها هذه المؤسســـات والتي تهدف في مجملها إلى الحفاظ على الطبيعة ومصادرها لتوفير بيئة مستدامة للأجيال البشرية.

وتُعد الجهود المتمثلة في التعاون مع وحدات دراسات البيئة والتنوع البيولـــوجي، وإقامة الندوات، والمحاضرات، والمنتديات الهادفة إلى تحقيـــق التواصـــل البيئـــي بـــين المتاحف وهذه الوحدات وأفراد المجتمع، فضلا عن جمعيات تنمية المجتمع المحلية، والتي ترمي إلى مساعدة المجتمعات في عملية حل المشكلات البيئية كالمخلفات الصلبة، وتلوث

الماء والهواء، وتطوير هذه الحلول (أسامة عبد الوارث عبد المجيد، ٢٠١٧، ص١٣) أبسط أنواع الجهود التي تقوم بها المتاحف لتحقيق البُعد البيئي في التنمية المستدامة، وذلك كما يتبين من الجهود التالية على مستوى كل هدف من الأهداف ذات البُعد البيئي للتنمية المستدامة:

١/٣ الهدف السادس: "ضمان توافر المياه وخدمات الصرف الصحي للجميع".

والذي يسعى إلى العديد من الغايات تتعلق بتحقيق حصول الجميع على مياه شرب مأمونة وميسورة التكلفة، وخدمات صرف صحي ونظافة صحية، وتحسين نوعية المياه عن طريق الحد من التلوث، وإلقاء النفايات والمواد الكيميائية الخطرة، ومعالجة مشكلة شُح المياه، وتعزيز نطاق التعاون الدولي في مجال المياه والصرف الصحي ومعالجة المياه، وتكنولوجيا إعادة التدوير، فضلا عن حماية وترميم النظم الأيكولوجية المتصلة بالمياه كالجبال، والغابات، والبحيرات، وغيرها.

ولا عجب في أن يكون من بين أنواع المتاحف تلك المتاحف المتخصصة في مجال المياه والمسماة بمتاحف الأنهار، هذا إلى جانب وجود تحالف دولي بين هذه المتاحف للتصدي لأزمة المياه، ومحاولة معالجتها عن طريق أفراد المجتمعات، ذلك التحالف المعروف بالشبكة العالمية لمتاحف المياه Global Network of water Museums[(*)] والذي يهدف إلى تحقيق التواصل العالمي بين هذه المتاحف والتعاون في تحقيق الوعي لدى أفراد مجتمعاتهم حول مشكلات المياه، وعلاج إهدارها، والطرق المستحدثة لمعالجة مياه الصرف الصحي، وذلك بفضل ما تنظمه من معارض، وتقدمه من عروض وتفسيرات للقضايا المتنوعة المتعلقة بأزمة المياه مما يجعلها مرجعا ثريا للتعرف على كل ما يخص هذه الأزمة، وكيفية التصدي لها، وآليات ذلك على مر العصور من بناء السدود، وحفر القنوات وغيرها، فضلا عن نهجها في ربط الماضي بالحاضر وما يمكن أن ينطوي عليه المستقبل فيما يتعلق باستخدامات المياه، مما يمهد الطريق لتغيير النهج الخاص باستخدامات المياه لدى المجتمعات لضمان استدامة مائية. (UNSECO & International Hydrological Programme, 2017).

(*) http://www.watermuseumofvenice.com/network-en

٢/٣ الهدف السابع: "ضمان حصول الجميع بتكلفة ميسورة على خدمات الطاقة الحديثة والموثوقة والمستدامة".

وتدور غاياته حول ضمان الحصول على طاقة بتكلفة ميسورة، فضلا عن تحقيق زيادة كبيرة في حصة الطاقة المتجددة، ومضاعفة المعدل العالمي لكفاءة استخدام الطاقة بحلول عام ٢٠٣٠.

ويكمن دور المتاحف في تحقيق هذا الهدف تحديدا في الغاية الثالثة "مضاعفة المعدل العالمي للتحسن في كفاءة استخدام الطاقة بحلول عام ٢٠٣٠.

وهذا ما أثبتته بعض الدراسات التي أوضحت الدور الذي تنهض به المتاحف، ومدى وعيها فيما يتعلق بعملية كفاءة استخدام الطاقة؛ حيث حدد متحف فيكتوريا وألبرت Victoria & Albert Museum[(*)] بلندن هدفا لتقليل نسبة استهلاك الطاقة وترشيدها بمقدار ٢٥% على مدار خمس سنوات وذلك بحلول عام ٢٠١٠. وذلك في إطار التقدم نحو تحقيق الاستدامة في الطاقة، هذا إلى جانب المتحف البحري الوطني بالمملكة المتحدة National Maritime Museum[(**)] والذي قام بالفعل بتخفيض نسبة استهلاك الطاقة إلى ١٢% فيما بين عامي ٢٠٠٠ و٢٠٠٦، كما خطط إلى زيادة هذه النسبة بمقدار ٥% فيما بين عامي ٢٠٠٦ إلى ٢٠٠٨. (Museums Association,2008).

وهذا ما توصلت إليه دراسة بيليسر، أ (Pelicer, A, 2014) للماجستير، أن بتطبيق المتاحف التقنيات الحديثة الخاصة بالمعلومات والاتصالات في مجالاتها وأنشطتها المتنوعة سواء في مجالي العرض المتحفي، أو الحفظ الرقمي وغيرهما من شأنه تحقيق منافع متعددة منها الحفاظ على الطاقة والتكلفة على حد سواء، نظرا لأن هذه التقنيات مع استمرار تطوراتها الحديثة تكون أقل تكلفة، وأكثر كفاءة من حيث الطاقة.

٣/٣ الهدف الثالث عشر: "اتخاذ إجراءات عاجلة للتصدي لتغير المناخ وآثاره".

ويتبلور دور المتاحف في تحقيق الغاية الثالثة أيضا من هذا الهدف وهي "تحسين التعليم وإذكاء الوعي والقدرات البشرية والمؤسسية للتخفيف من تغير المناخ، والحد من أثره والإنذار المبكر به".

ولم يتوقف دورها على رفع الوعي أو التثقيف حول هذه القضية فقط، بل تنبهت المتاحف إلى هذا الخطر، وأخذت على عاتقها التخفيف من هذا التغير، والعوامل الأساس المسببة له، حيث بلغت معدلات انبعاث غاز ثاني أكسيد الكربون لمتحف التاريخ الطبيعي بلندن The Natural History Museum (NHM)[(***)] أقل المستويات عام ٢٠٠٠، كما هدف المتحف أيضا إلى زيادة تقليل نسبة الانبعاث بمعدل ٥% بحلول عام ٢٠٠٣، وقد

(*) https://www.vam.ac. uk/
(**) http://www.rmg.co.uk/national-maritime-museum
(***) http://www.nhm.ac.uk/

كان بالفعل، كما تعاون مع العديد من المتاحف والمنظمات الأخرى للعمل على زيادة هذه النسبة لتتراوح ما بين ٧: ١٠% بحلول عام ٢٠١٠، وإلى جانب تقليل نسبة استهلاك الطاقة بنسبة ١٢% من قبل المتحف البحري الوطني، فقد قلل المتحف من استخدام الغاز نسبة ١٥% فيما بين عامي ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٦. (Museums Association,2008).

٤/٣ الهدف الرابع عشر: "حفظ المحيطات والبحار والموارد البحرية واستخدامها على نحو مستدام لتحقيق التنمية المستدامة".

والذي يتضمن غايات متعددة تهدف إلى منع التلوث البحري، وتقليل تحمض المحيط ومعالجة آثاره، وتنظيم الصيد على نحو فعال، وتعزيز حفظ المحيطات وموارها، فضلا عن زيادة المعارف العلمية، وتطوير القدرات البحثية، ونقل التكنولوجيا البحرية من أجل تحسين صحة المحيطات والبحار، وإسهام التنوع البيولوجي البحري في تنمية البلدان النامية.

ويتمثل إسهام المتاحف في تحقيق هذا الهدف في استضافة المتحف الوطني للتاريخ الطبيعي لمعهد سيميثونيان بالولايات المتحدة الأمريكية Smithsonian National Museum of Natural History[(*)] على مدار ثلاث سنوات متتابعة منذ عام ٢٠١٤ حتى عام ٢٠١٦ لليوم العالمي للمحيطات [(**)].

وقد أُثري هذا اليوم بالعديد من الأنشطة والفعاليات المميزة الإبداعية والتي تولى هذا المتحف القيام بها، والتي تنوعت فيما بين ندوات، وعروض للعديد من المقتنيات المتحفية الخاصة بالأحياء بالمحيطات، ومحاكاة لبعض التجارب والأحداث الخاصة بالحياة في البحار والمحيطات، وقد نوقشت العديد من القضايا الخاصة بالحفاظ على المحيطات والبحار كالجزر البلاستيكية الناجمة عن تلوث المحيطات، وتسمم العديد من الكائنات البحرية جراء المخلفات الملقاة بالمحيطات، وتسرب النفط وطرق معالجة المياه من ذلك، والشعاب المرجانية وفوائدها والمحافظة عليها، فضلا عن اللقاءات مع العديد من الخبراء والمتخصصين في هذا المجال (Smithsonian National Museum of Natural History,2016).

ومن شأن ذلك كله المساهمة في زيادة الوعي لدى أفراد المجتمعات بأهمية المحيطات، ودورها في حياتنا على كوكب الأرض، ومن ثم تحقيق هذا الهدف من التنمية المستدامة على نحو فعال.

(*) http://naturalhistory.si.edu/

(**) يحتفل بالمحيطات سنويًا يوم الثامن من شهر يونيو، وذلك منذ عام ١٩٩٢ بصفة غير رسمية برعاية مركز كندا الدولي لتنمية المحيطات (International Centre for Ocean Development (ICOD ، ومعهد المحيطات بكندا (Ocean Institute of Canada(OIC، وبصفة رسمية منذ عام ٢٠٠٨ برعاية منظمة الأمم المتحدة (UN). (The Oceans Project,2018)

٥/٣ الهدف الخامس عشر: "حماية النظم الأيكولوجية البرية وترميمها وتعزيز استخدامها على نحو مستدام، وإدارة الغابات على نحو مستدام، ومكافحة التصحر، ووقف تدهور الأراضي وعكس مساره، ووقف فقدان التنوع البيولوجي".

وترمي غاياته إلى ضمان حفظ وترميم النظم الأيكولوجية البرية، والغابات والأراضي، ومكافحة التصحر، والتربة المتدهورة، وضمان التنوع البيولوجي، وتعزيز الجهود العالمية الرامية إلى مكافحة الصيد غير المشروع للأنواع المحمية من النباتات والحيوانات والاتجار فيها.

ومن واقع القراءة التفصيلية لغايات هذا الهدف، ولأنواع المتاحف، تنطبق جميع هذه الغايات على أحد أنواع المتاحف التي تحقق الغالبية العظمى من هذه الغايات وهي متاحف التاريخ الطبيعي، تلك المتاحف التي تهدف إلى حماية الطبيعة وجعل المجتمع وأفراده يدركون هذه الحاجة، وذلك ليس فقط من أجل العلماء ومحبي الطبيعة، بل لصالح ومستقبل البشرية جمعاء.

فعن طريق هذه المتاحف يتعرف الزائر على العادات المميزة للأنواع الحيوانية، والنباتية المتنوعة، ويدرك قيمتها وأهميتها، والأسباب التي تدعم الحفاظ عليها، ويمكن أن يشاهد محاكاة لغابة الصنوبر النيوزلاندية القديمة، والتي تقطعت أشجارها، ويدرك أن هذه الغابة كانت تنظم مناخ المنطقة والذي تتوقف عليه خصوبة أراضي هذه الدولة، وسيعرض عليه عن طريق البيانات الإحصائية، ومسح الأراضي حجم الدمار الذي لحق بها، وبغيرها من موارد العالم من معادن، ونباتات، وحيوانات، وغابات، فهذا النوع من المتاحف يأخذ على عاتقه –من بين المؤسسات المجتمعية الأخرى– مسئولية الدفاع عن الطبيعة ومواردها الطبيعية، عن طريق جعل المجتمع على دراية بالحقائق عن هذه الطبيعة.(هايم، روجر١٩٥٣ ،٢٠٠١، ص٣٢،٣١).

وفي عام ٢٠٠١ بدأت الهيئة العامة للبحوث والإرشاد الزراعي باليمن الإعداد لمتحف للنباتات يعد بمثابة متحف مفتوح، ومجمع طبيعي للثروة النباتية والأعشاب الطبية، وتعود أهميته إلى قيام العديد من الفرق المختصة برحلات استكشافية لجمع العديد من أنواع النباتات المنتشرة لجزيرة سقطرى والمهددة بالانقراض على مستوى العالم بسبب

الجفاف، أو التصحر، أو الاستخدام العشوائي، أو التحطيب للحصول على الطاقة، فقد جُمِعَت هذه النباتات وبذورها وإعادة زراعتها في مشاتل خاصة، والعمل على توفير الظروف البيئية والمناخية لنموها، ويقوم المتحف بالتسجيل لهذه النباتات وأنواعها المختلفة من حيث الاسم المحلي لها، والاسم العلمي، والمنطقة الخاصة بها، والعائلة النباتية لها، حيث بلغ عدد الأنواع بهذا المتحف ٥٠ نوعا تنتمي لسبع عائلات نباتية (خالد عزب، ٢٠١٦، ص٨) ، ويُعد هذا المتحف مثالا واقعيا للمحافظة على النباتات باليمن وخصوصًا أن العديد منها مهدد بالانقراض.

وهناك مثال واقعي آخر لمتحف بحيرة بيوا بمدينة شيجا اليابانية، وهو متحف إثنوجرافي تأسس عام ١٩٩٧، وقد هدف في الأساس إلى استكشاف جوانب الحياة اليومية، والبرية، والمائية، والنباتية، كعوامل أساس للتعرف والمحافظة على التراث الثقافي، والحضاري، والبيئي لمدينة شيجا، وذلك عن طريق المشاركات المجتمعية وبرامجها المتنوعة متبادلة المنفعة بين سكان هذه المدينة والمتحف؛ حيث يستفيد المتحف من خبرات سكان هذه المدينة، ويستفيد السكان والمجتمع المحلي من المتحف في حفظ تراثهم الثقافي والبيئي، واكتساب العديد من المهارات البحثية والاستكشافية، حيث تقوم فرق من المتطوعين من سكان المجتمع المحلي لهذه المدينة باستكشاف الحياة المائية لبحيرة بيوا والتي ترجع إلى ثلاثة ملايين سنة وما تضمه من كائنات بحرية، وقد نتج عن الجولات الاستكشافية التي تمت في الفترة من ١٩٩٧ حتى عام ٢٠١٥ تسجيل ٢٠ عائلة من الأسماك، و٤٩ فصيلة جديدة، ووصل عدد العينات المسجلة حوالي ١٠٩١٧ عينة، فضلا عن استكشاف أنواع الحشرات في الغابات المحيطة، ومن ضمن الجهود التي يقوم بها المتحف والهادفة إلى تعزيز الوعي لدى أفراد هذه المدينة، قيام المتحف بنشر هذا الوعي ليس فقط على مستوى البالغين من سكان هذه المدينة، بل يشمل المعرض الخاص بالمتحف نشرات علمية مخصصة للأطفال تتميز بعرض هذه المعلومات في شكل جذاب وشائق (عبد الرحمن عثمان فراج، ٢٠١٧، ص ٣٨:٤١).

الخـــاتـــمـــة

من خلال العرض السابق تتضح مكانة المتاحف بالنسبة للمجتمعات، ويتأكد أنهـــا لم تعد مجرد تلك الأماكن والمؤسسات المنوطة بها تخزين وعرض المجموعات الأثريـــة والفنية فقط، تلك الصورة الذهنية المأخوذة عنها من قبل العديد من الأجيال، ويبرهن ذلـــك ما استجلته هذه الدراسة للدور الحيوي الذي تتولاه هذه المؤسسات فـــي تحقيـــق الغالبيـــة العظمى من أهداف وغايات التنمية المستدامة الأمر الذي يجعلها في مقدمـــة المؤسســـات الثقافية الناهضة بهذا الدور.

المراجع:

(١) أسامة عبد الوارث عبد المجيد (٢٠١٧). المتحف والحضارة والتنمية المستدامة. المتاحف العربية. ع (١). ص ٨-١٨.

(٢) خالد عزب (٢٠١٦).عمارة المتاحف: الأسس والمستقبل. كراسات متحفية (٢). ص ٤٧.

(٣) رفيعة عبيد غباش (غير محدد). متحف المرأة اُستُرْجِع من http://www.womenmuseumuae.com/?page_id=1428

(٤) عبد الرحمن عثمان فراج (٢٠١٧). المتاحف الإثنوجرافية. كراسات متحفية (٧). ص ٥٥.

(٥) القسم التعليمى بالمتحف المصري (٢٨/١٢/٢٠١٧). ورشة "الحلي المصري القديم بطريقة معاصرة" بالمتحف المصري [منشور محدث من موقع الفيس بوك]. اُسْتُرْجِع من https://www.facebook.com/القسم-التعليمي-بالمتحف-المصري/1686838358218756/

(٦) ماهر عيسى ولؤي سعيد (٢٠١٧). المجموعات المتحفية وسياسة الاقتناء: واقع المتاحف المصرية. كراسات متحفية (٣). ص ٥٠.

(٧) مركز توثيق التراث الحضاري والطبيعي (٢٠٠٥). تماثيل السيدات في العصر الفرعوني. اُسْتُرْجِع من http://www.eternalegypt.org/EternalEgyptWebsiteWeb/HomeServlet?ee_website_action_key=action.display.module&story_id=&language_id=3&module_id=177&ee_messages=0001.flashrequired.text

(٨) هايم، روجر(٢٠٠١).حماية الطبيعة ومتاحف التاريخ الطبيعي. (عبد الحميد فهمي الجمال، مترجم). المتحف الدولي. ع ٤ (٢١٢). ص٣٠-٣٢.

(9) General Assembly of the United Nation(2017). Sustainable Development. Retrieved from http://www.un.org/en/ga/president/65/issues/sustdev.shtml, 29/12/2017

(10) International Council on Monuments and Sites(ICOMOS)(2011). The Paris Declaration On heritage as a driver of development. Retrieved from https://www.icomos.org/Paris2011/GA2011_Declaration_de_Paris_EN_20120109.pdf

(11) Mariel J. et al.,(1972). Museums and Agriculture. Museum. VOL XXIV, NO. 3. Retrieved from http://unesdoc.unesco.org/images/0012/001273/127375eo.pdf

(12) Museums Association(2008). Sustainability and Museums: Your chance to make a difference. Retrieved from https://www.museumsassociation.org/download?id=16398

(13) Ossama A. W. Abdel Meguid(2005). The Nubia Museum's Role in the community. Museum International.vol.57, no 1-2. Retrieved from http://onlinelibrary.wiley.com/doi/10.1111/j.1468-0033.2005.00513.x/

(14) Pelicer, A. (2014). Museums and ICT: A green perspective. (Master's Thesis). Retrieved from https://aaltodoc.aalto.fi/bitstream/handle/123456789/14099/master_Pellicer_N%C3%A1cher_Agust%C3%AD_2014.pdf?sequence=1

(15) Research Centre for Museums and Galleries (RCMG), (2000). Museums and Social Inclusion:The GLLAM Report. Greenhill,E. et al(Eds.). Retrieved from https://www2.le.ac.uk/departments/museumstudies/rcmg/projects/museums-and-social-inclusion-the-gllam-report/GLLAM%20Interior.pdf

(16) Smithsonian National Museum of Natural History(2016). Ocean Portal: Find your blue. Retrieved from http://ocean.si.edu/world-ocean-day-2016-smithsonian-national-museum-natural-history

(17) The Ocean Project(2018).World Oceans Day. Retrieved from http://www.worldoceansday.org/history

(18) United Nations. General Assembly(2015). Resolution adopted by the General Assembly on 25 September 2015. Retrieved fromhttp://www.un.org/ga/search/view_doc.asp?symbol=A/RES/70/1&Lang=E

(19) UNSECO & International Hydrological Programme(2017). Towrads a Global Network of Water Museums: A Common Heritage for Sustainable Future . Retrieved from http://unescoblob.blob.core.windows.net/pdf/UploadCKEditor/Workshop%20Global%20Network%20of%20Water%20Museums%20-1.pdf

(20) Worts,D.(1998). On Museums, Culture and Sustainable Development. **In** Summit of the Museums of the Americas, Costa Rica, USA. Retrieved from http://worldviewsconsulting.ca/wp-content/uploads/2016/09/ICOM-98-SD-Worts.pdf